بسم الله الرحمن الرحيم

نِعْمَةُ الْمِيَاهِ مُقَوِّمُ أَسَاسٍ لِلْحَيَاةِ ٦ صفر ١٤٤٧هـ

اتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَىٰ، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ، وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ.

عِبَادَ اللهِ: نِعَمُ اللهِ عَلَيْنَا كَثِيرَةٌ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ﴾ عَدَدًا مُجَرَّدًا عَنِ الشُّكْرِ، ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ فَضْلًا عَنْ كَوْنِكُمْ تَشْكُرُونَهَا، فَإِنَّ نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ وَالْبَاطِنَةَ عَلَىٰ الْعِبَادِ بِعَدَدِ الْأَنْفَاسِ وَاللَّحَظَاتِ، مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ النِّعَمِ مِمَّا يَعْرِفُ الْعِبَادُ، وَمِمَّا لَا يَعْرِفُونَ، وَمَا يَدْفَعُ عَنْهُمْ مِنَ النِّقَمِ فَأَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَىٰ، ﴿إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يَرْضَىٰ مِنْكُمْ بِالْيَسِيرِ مِنَ الشُّكْرِ، مَعَ إِنْعَامِهِ الْكَثِيرِ. اهـ

وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾، وَالْمَطَرُ أَحَدُ هَذِهِ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ؛ فَهُوَ غِيَاثُ الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ»: فَانْظُرْ إِلَيْهَا - أَيِ: الْأَرْضُ- وَهِيَ مَيِّتَةٌ هَامِدَةٌ خَاشِعَةٌ، فَإِذَا أَنْزَلَ عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ فَتَحَرَّكَتْ، وَرَبَتْ فَارْتَفَعَتْ، وَاخْضَرَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، فَأَخْرَجَتْ عَجَائِبَ النَّبَاتِ فِي الْمَنْظَرِ وَالْمَخْبَرِ، بَهِيجٌ لِلنَّاظِرِينَ، كَرِيمٌ لِلْمُتَنَاوِلِينَ، فَأَخْرَجَتِ الْأَقْوَاتَ عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا، وَتَبَايُنِ مَقَادِيرِهَا وَأَشْكَالِهَا، وَأَلْوَانِهَا وَمَنَافِعِهَا، وَالْفَوَاكِهَ وَالثِّمَارَ، وَأَنْوَاعَ الْأَدْوِيَةِ، وَمَرَاعِيَ الدَّوَابِّ وَالطَّيْرِ.

ثُمَّ انْظُرْ إِلَىٰ قِطَعِهَا الْمُتَجَاوِرَاتِ، وَكَيْفَ يَنْزِلُ عَلَيْهَا مَاءٌ وَاحِدٌ فَتُنْبِتُ الْأَزْوَاجَ الْمُخْتَلِفَةَ الْمُتَبَايِنَةَ فِي اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ، وَالرَّائِحَةِ وَالطَّعْمِ وَالْمَنْفَعَةِ، وَاللِّقَاحُ وَاحِدٌ، وَالْأُمُّ وَاحِدَةٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ

بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ ﷻ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مُمْتَنًّا عَلَىٰ عِبَادِهِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾.

وَالْغَيْثُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فِيهِ الرَّعْدُ الْمُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ سُبْحَانَهُ، وَالْبَرْقُ وَالصَّوَاعِقُ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ، وَيُطَمِّعُهُمْ فِي فَضْلِهِ وَجُودِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَتْ يَهُودُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: «مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ [جَمْعُ مِخْرَاقٍ ، وَهِيَ آلَةٌ تَزْجُرُ بِهَا الْمَلَائِكَةُ السَّحَابَ] مِنْ نَارٍ، يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللهُ»، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: «زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ، إِذَا زَجَرَهُ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ حَيْثُ أُمِرَ». قَالُوا: صَدَقْتَ.

عِبَادَ اللهِ: الْمَاءُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ ﷻ، وَجُنْدٌ مِنْ جُنْدِهِ، يَتَنَزَّلُ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ رَحْمَةً، وَإِنْ نَقَصَ عَنْهُمْ أَوْ زَادَ عَلَيْهِمْ صَارَ عَذَابًا وَنِقْمَةً، يَسْتَبْشِرُ النَّاسُ بِمَقْدَمِهِ، وَيَفْرَحُونَ بِحُلُولِهِ وَنُزُولِهِ، امْتَنَّ اللهُ بِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، وَذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِينَ مَرَّةً، وَجَعَلَهُ فِي الْجَنَّةِ نَوْعًا مِنْ نَعِيمِهِ، غَالِبُ تَكْوِينِ الْأَرْضِ مِنْهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اللهُ سُبْحَانَهُ أَوْجَدَ الْمَاءَ، وَامْتَنَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِهِ، وَدَعَاهُمْ لِلتَّفَكُّرِ فِي إِنْزَالِهِ وَتَكْوِينِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾، وَاللهُ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ الذَّهَابِ بِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ

فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾، فَالْمَاءُ أَصْلُ الْخَلْقِ، قَالَ تَعَالَىٰ :﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

عِبَادَ اللهِ: جَعَلَ اللهُ مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَعِيشَ بِدُونِهِ سُوَىٰ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، وَالْمَاءُ سَبَبٌ لِلْحَيَاةِ، قَالَ تَعَالَىٰ :﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾، وَالْمَاءُ طَهَارَةٌ وَنَقَاءٌ، بِهِ يَكُونُ الِاغْتِسَالُ وَالْوُضُوءُ وَالِاسْتِنْجَاءُ، قَالَ تَعَالَىٰ :﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْمَاءُ شِفَاءٌ مِنْ بَعْضِ الْأَدْوَاءِ بِإِذْنِ اللهِ، أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «الْحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَطْفِئُوهَا بِالْمَاءِ»، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ قَالَ: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ، لَمْ تُحْلَلْ، أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَىٰ النَّاسِ». فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ، حَتَّىٰ طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ، «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ» قَالَتْ: ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ النَّاسِ فَصَلَّىٰ بِهِمْ وَخَطَبَهُمْ. وَقَالَ تَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾.

عِبَادَ اللهِ: لِعَظِيمِ أَمْرِ الْمَاءِ جَعَلَ اللهُ وَسَائِلَ لِحِفْظِ مَاءِ الْأَمْطَارِ إِذَا نَزَلَ، فَيَسْلُكُهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ أَوْ يَكُونُ فِي مِيَاهِ الْأَنْهَارِ، أَوِ الْحِفْظِ فِي الْعُيُونِ وَالْآبَارِ، قَالَ تَعَالَىٰ :﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: سَقْيُ الْمَاءِ عِبَادَةٌ مِنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ وَالْأَعْمَالِ، قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْ قَوْلِ أَهْلِ النَّارِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾، قَالَ

رَحِمَهُ اللهُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ سَقْيَ الْمَاءِ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ. وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْمَاءُ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ أَهْلِ النَّارِ حِينَ اسْتَغَاثُوا بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾. وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ أَنَّ سَعْدًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْجَبُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «الْمَاءُ». وَفِي رِوَايَةٍ: فَحَفَرَ بِئْرًا فَقَالَ: (هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ)، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ سَعْدٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ كَانَتْ تُحِبُّ الصَّدَقَةَ، أَفَيَنْفَعُهَا أَنْ أَتَصَدَّقَ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَعَلَيْكَ بِالْمَاءِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَسْقِيَ عَنْهَا الْمَاءَ. فَدَلَّ عَلَىٰ أَنَّ سَقْيَ الْمَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ التَّابِعِينَ: مَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَعَلَيْهِ بِسَقْيِ الْمَاءِ. وَقَدْ غَفَرَ اللهُ ذُنُوبَ الَّذِي سَقَىٰ الْكَلْبَ، فَكَيْفَ بِمَنْ سَقَىٰ رَجُلًا مُؤْمِنًا مُوَحِّدًا وَأَحْيَاهُ.

عِبَادَ اللهِ: لِأَهَمِّيَّةِ الْمَاءِ جَاءَ الْأَمْرُ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ الْإِسْرَافِ فِيهِ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، إِلَىٰ خَمْسَةِ أَمْدَادٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: الْمَاءُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللهِ، وَرَحْمَةٌ مِنْ رَحَمَاتِهِ. فَلَقَدْ رَحِمَ اللهُ بِالْمَاءِ نُوحًا، وَنَجَّاهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ ظَهْرِ السَّفِينَةِ، وَحُمِلَ مُوسَىٰ الرَّضِيعُ وَهُوَ فِي التَّابُوتِ عَلَىٰ مَاءِ الْيَمِّ، وَرَحِمَ اللهُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ بِالْمَاءِ لَمَّا اسْتَسْقَوْهُ، وَرَحِمَ اللهُ ﷻ بِهِ رَسُولَنَا ﷺ وَصَحْبَهُ الْكِرَامَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَثَبَّتَهُمْ وَرَبَطَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

وَالْمَاءُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللهِ، عَذَّبَ اللهُ بِهِ أَقْوَامًا، فَأَغْرَقَ بِالْمَاءِ قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَفَرُوا بِاللهِ، وَخَالَفُوا أَمْرَهُ، وَأَغْرَقَ بِهِ فِرْعَوْنَ بَعْدَ طُغْيَانِهِ وَتَجَبُّرِهِ، فَأَعْلَمَهُ اللهُ قَدْرَهُ، وَنَجَّاهُ بِبَدَنِهِ؛ لِيَكُونَ لِلنَّاسِ عِبْرَةً، وَأَغْرَقَ سَبَأً بِالسَّيْلِ الْعَرِمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.